

الفصل الأول

تعريف الاستشراق وبدايته

تعريف الاستشراق Orientalism :

الاستشراق كمصطلح لم يدرج في المعاجم العربية إلا في نهاية العقد السادس من القرن العشرين وكان ذلك على يد الشيخ أحمد رضا صاحب معجم متن اللغة وبعده تالتت الإشارات في المعاجم الحديثة، وقد أغفلت دائرة المعارف الإسلامية المصطلح تماما لعقود كثيرة فلم تورده في طبعتها الأولى.

والاستشراق كتعريف هو دراسة كل شيء يتعلق بالشرق من علوم وآداب وجيولوجيا وفن والخ..... على يد علماء غربيين.

ويعرف إدوارد سعيد الاستشراق «بأنه أسلوب من الفكر القائم على تحيز وجودي ومعرفي بين الغرب والشرق» ويستلزم الأمر أن نعرف مصطلح الشرق orient من وجهة النظر الغربية الشرق هنا مصطلح سياسي جغرافي تاريخي شامل له أوجه عدة. فهو من وجهة نظر الغرب كل ما يقع في اتجاه الشرق - وقد يحدد المصطلح ليعني الشرق الأدنى أو الأوسط وقد يمتد ليشمل الشرق الأقصى - الشرق الأدنى هو الحوض الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط بينما الحدود الجغرافية للشرق الأوسط هي الأراضي الممتدة من وادي نهري دجلة والفرات الى الهند وبورما وسيلان إما الشرق الأقصى فيشمل الصين واليابان وجنوب شرق روسيا.

وهناك آراء تقول أن الاستشراق بدا منذ عهود اليونان وإن كتابات هيرودوت ورحلاته إلى مصر وغيرها من بلدان الشرق تحييء ضمن تاريخ الاستشراق إلا أن هناك من يري أن الاستشراق بدا مع حركة الحروب الصليبية وهو ما يذهب إليه أغلب الباحثين فقد اصطحبت كل حملة معها من أرخ لها سواء جنود أو رجال دين وإن كان البعض يؤجله إلى وقت قدوم الحملة الفرنسية علي مصر.

ويمكننا أن نلحق بالاستشراق كل ما كتبه النصارى العرب من أقباط وموارنة وغيرهم ممن ينظرون للإسلام من منظور غربي ويلحق بهم ما كتبه الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا علي أيدي مستشرقين وتبنوا كثيرا من أفكارهم.

ولابد من ذكر تعريف الاستغراب كذلك في تلك المقدمة وهو "دراسة كل ما هو غربي على يد علماء شرقيين"، وأول من كتب هذا التعريف الدكتور حسن حنفي في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" ولابد أن نذكر أننا في الشرق نفتقد لمثل تلك الدراسات ولابد من وجود مراكز دراسات غربية أوروبية أو أمريكية.

الهدف من دراسة الاستشراق:

تتمثل أهداف تلك الدراسة في عدة نقاط نجملها فيما يلي:

1. لنعرف كيف ينظر لنا الآخر.
2. لتحليل مدى صدق دراسات المستشرقين ومدى حيادها أو تحاملها وجهلها أحياناً.
3. معرفة الأسباب والدوافع الحقيقية وراء حركة الاستشراق.
4. محاولة دراسة الغرب بالمثل فيما عرف بحركة الاستغراب.
5. إظهار الآثار الإيجابية والسلبية للاستشراق.
6. نقد الاستشراق: هل استخدم المستشرقون منهجاً علمياً دقيقاً في دراستهم أم لا؟
7. صيانة تراثنا من العبث وسوء التصوير.

مكونات الفكر الاستشراقي:

علينا أن نوضح مكونات الفكر الاستشراقي والتي من خلالها تكونت صورة الشرقيين في كتاباتهم والحقيقة أن فصل العقيدة عن الواقع التاريخي هو ما تأثروا به من واقع بيئتهم الأوربية المعتمدة على فصل شئون الدنيا عن الدين وبالتالي درسوا الشرق بموجب مفاهيم غربية وعقيدة مغايرة بينما كانت أعمال الشرقيين وخاصة المسلمين تتداخل فيها العقيدة الإسلامية مع الواقع التاريخي فقد فسر كثير من المؤرخين كل انتصار في مسرح الأحداث وكل تقدم حضاري إنه انتصار للإسلام واستجابة لتعاليمه والعكس، ومثال ما وضح لدينا من أن نظرة المسلمين للتاريخ لم تخل من الجانب الأخلاقي وقد خلت دراسات المستشرقين الذين فصلوا أمور الدنيا عن الدين من تصور حقيقي للشرقيين أو فهماً لنصوص المصادر بل كثيراً ما حاولوا تطويعها لإثبات فرضيتهم التي تحاكي الفكر الأوربي⁽⁴¹⁾.

يأتي حكم المستشرق أحياناً دون مراعاة للسياق الديني والاجتماعي الذي عاش وتربى فيه الشرقي وقد ينتج عن هذا انعدام الموضوعية لأنه يجب على المستشرق أن يحكم على الظاهرة من إطار سياقها وليس من سياقه هو.

وقد أكد المستشرق لويس برنارد هذا الاتجاه لبعض الدراسات الإستشراقية عندما أشار لها في مقولته "أننا في العالم الغربي وقد نشأنا في ظل التقاليد الغربية، عندما نستخدم كلمة إسلام

وإسلامي نفع عمداً في خطأ تفسيري ونفترض أن الدين يعنى عند المسلمين ما يعنيه عندنا في المجتمع الغربي حتى في العصور الوسطى" (42).

وقد تكون المصادر والوثائق التاريخية التي يرجع لها المستشرق لرسم صورة الشرق قليلة أو مقتضبة إلى حد الإخلال أو التحريف لغوياً وبخاصة أن الكثير من المستشرقين كفاءتهم اللغوية ومعلوماتهم عن الشرق أو منهجيتهم لا تؤهلهم لرسم صورة صحيحة ودقيقة بشكل علمي موضوعي فكثيراً ما اعتمدوا على الاستنتاج المنطقي وهذا قد يحمل النصوص أحياناً أكثر مما تحتمل (43).

كون بعض المستشرقين آرائهم من خلال كتابات استشراقية أخرى دون العودة للمصادر الأصلية ولم يدركوا أن كثيراً من الروايات التي استندوا عليها قد هدفت للترويج لفكر غربي يكون حاقداً على كل ما هو عربي أو إسلامي (44).

بداية ظهور حركة الاستشراق في الغرب:

ولفهم بداية حركة الاستشراق لابد لنا من أن نتحدث أولاً عن العلاقات بين الشرق والغرب بعد ظهور الإسلام لفهم بداية حركة الاستشراق لطبيعة العلاقة بينهما وهو ما نتج عنه الدراسات الاستشراقية الأولى وحددت اتجاهاتها. ولهذا أرجعه البعض إلى القرن الأول الهجري، ولكنه

بدأ يكتمل بوجهه الجديد في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أنشئت المدارس النظامية، وعقدت المؤتمرات، وفتحت المراكز والبعثات والجمعيات والمعاهد، وكان هذا بعد انتهاء الحروب الصليبية، ولا جدال في أن النصارى وقفوا ضد الإسلام من أول ظهوره، وكل رجال الكنيسة من البابوات وزعماء الدول الغربية ينظرون بحقد شديد إلى انتشار الإسلام وقوة المسلمين، حيث رأوا أخيراً أنه لا يمكن وقف المد الإسلامي إلا بغزوه فكرياً مع إبداء الصداقة للعرب، وغيرهم من المسلمين، وقد ظل هذا التوجه للنصارى قائماً في شكل صراع محتدم على طول تاريخ الغرب النصراني والشيوعي على حد سواء.

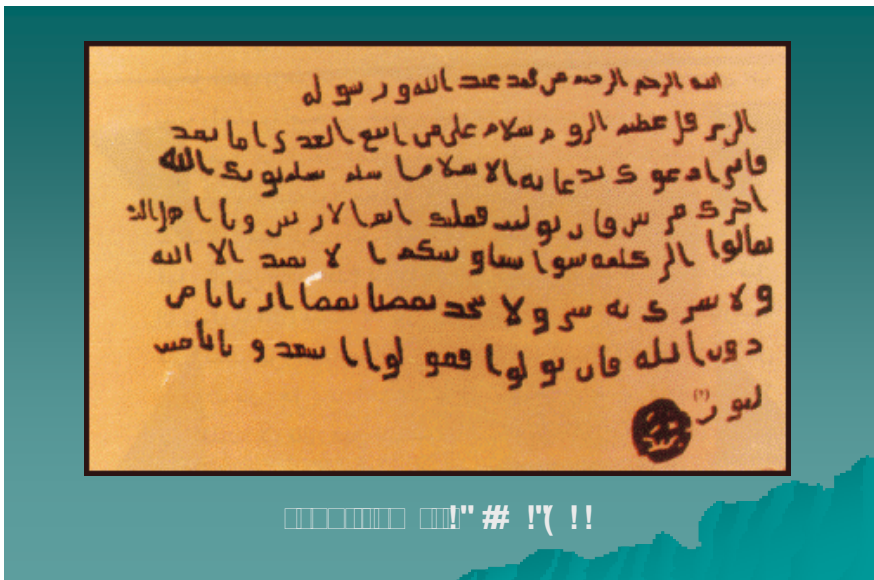
تطور العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى:

بدأت العلاقة بين الإسلام والمسيحية منذ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام للملوك والأمراء، فلقد أرسل لهم الرسائل يدعوهم للدخول في الإسلام:

➤ مكاتبة الملوك والأمراء

- الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة
- الكتاب إلى المقوقس ملك مصر
- الكتاب إلى كسرى ملك فارس
- الكتاب إلى قيصر ملك الروم
- الكتاب إلى المنذر بن سَإِوي
- الكتاب إلى هُوَذَة بن علي صاحب اليمامة
- الكتاب إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني صاحب دمشق
- الكتاب إلى ملك عُمان
- أمثلة من تلك الرسائل:
- نص رسالة النبي لكسرى

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعوة الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك).



تباينت ردود فعل هؤلاء الملوك حول تلك المكاتبات منهم من مزقها مثل كسرى ومنهم من بجلها ووضعها مع مجوهرات التاج الإمبراطوري وهو قيصر إمبراطور الروم ومنهم من أسلم مثل النجاشي .

وقد أرسل الرسول منها: أن (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعث رسول بكتابه إلى عظيم بُصْرَى ملك الغساسنة فأوثق رباط السفير، وضرب عنقه ونتج عن هذا التصرف المنافي لأصول الدبلوماسية وحسن معاملة السفراء أن تم الإعداد وخروج جيش المسلمين في غزوة تبوك بعد غزوة مؤتة بعام ومن وقتها والعلاقات عدائية بين المسلمين والنصارى وكذلك جاءت حركة الفتوحات وضياع املاك البيزنطيين في الشام ومصر وشمال أفريقيا لتشعل نار العداء بين الجانبين .

انتقاد الإسلام للمسيحيين وكتبهم المحرفة أو الأناجيل العديدة التي حرفت جعل النصارى يحاولون تشويه صورة الإسلام وإن أرغمتهم على محاولة إعادة النظر في كثير من تحريفاتهم. وهذه المعلومات تشير إلى أن تاريخ الصراع العسكري والفكري بين المسيحيين والمسلمين بعيد في القدم وأن بداية حركة الاستشراق اتسمت بالطابع الديني .

أ. الصراع البيزنطي الإسلامي

وقد استمر الصراع بين الدولة البيزنطية والإسلامية مع انتقال الحكم للأيوبيين ومع انتقال عاصمتهم إلى دمشق القرية من الحدود البيزنطية أصبح الصدام بين الدولتين متكرر ومنذ أيام معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ / 661-680م) ظهرت حملات بحرية وبرية إسلامية ضد القسطنطينية وبدء نظام الصوائف والشواتيوهي الحملات التي درج المسلمون على إرسالها إلى الحدود البيزنطية كل عام سواء في الصيف فتسمى الطوائف أو في الشتاء فتسمى الشواتي وذلك بهدف التوسع والإغارة على الحدود البيزنطية وأيضاً تحمي الحدود الإسلامية وإقامة الثغور وهي القلاع والتحصينات الحدودية التي تقيمها الدولة الإسلامية على حدودها لحمايتها والدود عنها وتسمى عند البيزنطيين الثيمات وتعرف كذلك باسم الدروب وكثر عدد الرابطين أي المدافعين أو المجاهدين الذين يشكلوا الوحدات العسكرية المرابطة عند الحدود مع العدو .

من أشهر الحملات التي قامت ضد القسطنطينية ومثلت تهديد مباشر لها حملة مسلمة بن عبد الملك ضد القسطنطينية عام 717م، استمرت هذه الحملة محاصرة للقسطنطينية لمدة عام حتى

عام 718 م وكان قوامها ثمانون ألف جندي وحاصروا المدينة براً وبحراً، ولولا وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وولاية الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز الذي سحب الحملة لربما حققت نصراً مؤزرًا على البيزنطيين وحققت ما حققه العثمانيون بعد سبعة قرون عندما فتحو القسطنطينية .

استمر الصراع في عصر العباسيين و كثرة حملاتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية، أمثال المهدي- هارون الرشيد -المأمون -المعتصم وحملته الشهيرة ضد مدينة عمورية عام 838م والتي أعدت للرد على المذبحة ضد أهالي حصن زبطرة على يد الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس فأقسم المعتصم أن يذل الإمبراطور في مسقط رأسه وهي مدينة عمورية ويفعل بها مثلما فعل الإمبراطور بأهالي حصن زبطرة وكانت الصيحة الشهيرة التي أطلقتها امرأة هاشمية وقعت في أسر البيزنطيين وهي (واه معتصم) وقد أبر الخليفة بقسمه ودمر عمورية وأحرقها رغم توسلات الإمبراطور البيزنطي بان يرفع يده عنها وكذلك الحمدانيون في حلب حملوا راية الجهاد ضد البيزنطيين فقد اعتاد سيف الدولة الحمداني الإغارة على الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى في حملات سنوية وذلك لمدة عشرين عام حتى وفاته وبعد أن دخل الأتراك السلاجقة في الإسلام حملوا راية الجهاد وانتصروا في معركة مينزيكرت وهزموا الدولة البيزنطية وأسروا الإمبراطور البيزنطي نفسه عام 1071م وتأتي الصفعة الأخيرة ونهاية الدولة البيزنطية على يد العثمانيين عندما أسقطوا القسطنطينية عام 1453م- على يد السلطان العثماني محمد الثاني أو الفاتح - تلك العاصمة البيزنطية التي استمرت حوالي 11 قرن قابضة على شواطئ البوسفور تتحدي أي قوة تحاول النيل منها وكانت تمثل قلعة المسيحية الأرثوذكسية الشرقية وحامية للغرب الأوروبي كله .

بالحروب الصليبية:

هي حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب أو بين المسلمين والغربيين وهناك آراء أن الحروب الصليبية بدأت مع البيزنطيين ثم الفرنج في الأندلس ضد المسلمين مثال حروب شارل مارتل -شارلمان، وإن كانت البداية الفعلية الأقوى هي التي بدأت بدعوة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت في فرنسا عام 1095م الشعوب الغربية للذهاب إلى الشرق تحت راية الصليب

لتحرير قبر المسيح كما ادعى إساءات المسلمين للمسيحيين في الشرق وصورهم لأوروبا أنهم يهينوا قبر المسيح ويضطهدوا المسيحيين الشرقيين وكان ذلك عكس الحقيقة.

رجال الدين والبابوات شوهوا سمعة الإسلام وأساءوا للمسلمين ووصفهم بأبشع الأوصاف بدأت كتابات المستشرقين منذ هذا العصر وكلها حقد وكره للإسلام. وقد أطلق على الصليبيين مصطلح الفرنج أو اللاتين في المصادر ألاتينية والإسلامية وذلك لأن معظمهم كان من الفرنج (الفرنسيين) كما ورد في المصادر الغربية مثل كتاب فوشيه الشارترى عن الحملة الصليبية الأولى إذ إن فرنسا ساهمت بأعداد كبيرة من الجند في هذه الحملات لأنها كانت مفعمة بجو من الانفعال الديني حيث بدأت الدعوة للحروب الصليبية على أرضها في كليرمونت 1095م واتسم الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى بالعنف والشراسة والحقد على الإسلام والمسلمين على الرغم من أن هذه الحملة بالذات قد نجحت في تحقيق معظم أهدافها فاستولى الصليبيون فيها على بيت المقدس وأقاموا مملكة صليبية في الأراضي المقدسة، فضلاً عن تكوين ثلاث كيانات صليبية أو إمارات لاتينية فيالرها وأنطاكية وطرابلس غير أن الصليبيين أظهروا خلال هذه الحملة- شراسة وهمجية فاقت كل حد خاصة عند دخولهم بيت المقدس كما يذكر المؤرخون القدامى والمعاصرون حيث أحدثوا مذابح بشرية رهيبة راح ضحيتها عشرات الألوف من السكان العزل حتى أولئك الذين لجئوا إلى الاحتماء في الكنائس والمساجد، هدموها على رؤوسهم وراحوا يرعون شوارع المدينة بقتل من يصادفهم حتى النساء والأطفال والشيوخ وغيرهم، فلم يرحموا صغيراً ولم ترق قلوبهم لشيخ أو امرأة أو طفل.

«في كل ناحية مذبحه مروعة وفي كل ركن أكوام من الرءوس المقطوعة»⁽⁵⁾ وسالت دماء المسلمين في شوارع المدينة حتى وصلت إلى ركب الخيل فحاض الصليبيون في دماء المسلمين، فلقد شهدت المدينة مذبحه فظيعة سفك فيها الدم بطريقة مخيفة حتى شعر المنتصرون أنفسهم بالخوف وأحسوا بالقتزز والاشمئزاز⁽⁶⁾.

إن هذا المشهد المتصف بالبربرية والفظاعة هو ما نقله مؤرخو اللاتين أنفسهم والمؤرخون الغربيون المحدثون من بعدهم⁽⁷⁾ فقتلوا في المسجد الأقصى وحده ما يزيد عن سبعين

ألف نفس⁽⁸⁾ وقد اعترف عدد كبير من مؤرخيهم القدامى أن مذبحة بيت المقدس 1099م كانت من البشاعة بحيث لطخت تاريخ الحملات الصليبية ووصمتهم بالوحشية طوال تاريخهم. هذا بعض ما ورد في المصادر الإفرنجية عن وصف الصليبيين وأخلاقهم، ولذا حرصت على وضع التوثيق للاستشهاد برواية هؤلاء المؤرخين الفرنج المعاصرين للأحداث وهم من يعتبرهم البعض أوائل المستشرقين لأن كتابتهم عن الحملات وتوصيف المعارك والحروب لم تخلوا من ذكر أوضاع الشرق والشرقيين من ملابس وأطعمة وحيوانات ونباتات وحرف خاصة بالشرق مما يعتبر استشراق.

ولدينا اعتراف من مؤرخ صليبي هو فوشيه الشارترى بأن البابوية عمدت لطرح فكرة الحروب الصليبية كفكرة دينية حتى تضمن نجاحها وكما يعلق مؤرخ محدث إن الدعاة للحركة الصليبية زخرفت برداء الحج⁽⁹⁾.

ولعل هذا يوضح لنا أن فوشيه الشارترى المعاصر للحملة الأولى، كان يدرك أن الفكر المتلوي للبابوية الراغب في إضفاء الدين على الحركة كي تنجح، هو المحرك الحقيقي للحملات؛ لأنهم كانوا يدركون تأثير الدين على الشعوب الغربية في ذلك الوقت، لأن الفرد في المجتمع الغربي ينشأ على الإيمان بكل ما تقوله الكنيسة دون إعمال لعقل أو لفكر، فقد نجحت الكنيسة في إدعائها وخلقت نوعاً من الحقد الصليبي ضد كل مسلم⁽¹⁰⁾.

ومكانة الكنيسة ودورها في السيطرة على عقول الأفراد ومقدراتهم في العصور الوسطى أمر معروف إذا كان لها الأمر والنهي، وعلى الجميع السمع والطاعة، ومن يخالف ذلك يتعرض للعقاب بما في ذلك الأمراء والملوك أنفسهم فلم يسلم هؤلاء من سطوتها ووقعت على من يخالفها منهم قرارات الحرمان والنقمة واللعن والقطع⁽¹¹⁾.

وهناك رأى يقول إن الحركة الصليبية كانت محاولة للتنصير سعت لها البابوية لتحويل مسلمي الشرق عن الإسلام وجعلهم يعتنقون المسيحية الكاثوليكية ويصبحون أتباعاً لكنيسة روما⁽¹²⁾. وينكشف لنا حقد الصليبيين على الإسلام والمسلمين في تحويلهم المساجد لكنائس مثلاً فعلوا في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة⁽¹³⁾.

وقد مثل قدوم الصليبيين للشرق نقلة حضارية جعلتهم يأخذون الكثير من المسلمين من علومهم وسلوكهم وعاداتهم حتى أبسط الأمور التي اعتادها المسلمون كالنظافة الشخصية أخذها الصليبيون عن المسلمين لأنهم لم يعتادوها في بلادهم، ونجد مؤرخاً صليبيًا يقر بأن صليبي الشرق قد أصبحوا أكثر اعتيادًا على الحمامات أكثر من اعتيادهم على خوض المعارك بعد بقائهم في الشرق⁽¹⁴⁾.

ومن النتائج الهامة التي نستخلصها من المصادر أن أخلاق الصليبيين قد تدهبت بعد فترة من معايشة المسلمين؛ إذ تأثروا بعاداتهم وحضارتهم وتعلموا اللغة العربية واستعانوا بأطباء من العرب وتأثروا بأخلاق المسلمين في السلم والحرب وأصبحوا أكثر تسامحًا في تعاملاتهم حتى مع من يخالفونهم في الديانة أو المذهب⁽¹⁵⁾.

وبعد سقوط عكا آخر المعاقل الصليبية في الشرق وعودتها للمسلمين عام 1291م عام على يد الأشراف خليل انتهى الوجود الصليبي في الشرق فحاول ملوك الغرب بعد ذلك تعويض هزيمتهم في الشرق وخروجهم من المستعمرات اللاتينية التي كونوها في الشرق والتنفيس عن أحقادهم عن طريق كتابات المستشرقين بأن ساعدوا المستشرقين واشتروا المخطوطات العربية وجمعوها من مختلف البلدان العربية لدراستها بغرض الطعن في الإسلام والمسلمين. فالملك لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن هزم في موقعة المنصورة في مصر وأسر كتب وصيته الشهيرة التي تعرف بوصية القديس لويس ويقول فيها أن المسلمين لا تغلبهم الجيوش مهما بلغت قوتها ويجب استبدال الحروب المادية بالحروب الثقافية والفكرية

وهناك مقولة لروجر بيكون يقول فيها إن الحروب الصليبية امتازت بالقسوة البالغة وإنها عديمة الجدوى وإن الواجب تبشير المسلمين ودعوتهم لاعتناق المسيحية بدلا من التفكير في غزوهم في عقر دارهم ولعل هذا القول يشير من بعيد للنوايا التبشيرية الخفية التي حوتها الحروب الصليبية .

جالاتعمار الحديث:

بعد أن رفعت الكنيسة سطوتها من على العقول في أوربا بدأت النهضة الحديث واستفاد الغرب من حضارة المسلمين بينما كانت أحوال العالم الإسلامي تسير الضعف وإهمال العلم

وتنافس أوروبا عن حقدتها القديم باستعمار حديث للمسلمين من قبل دول كإنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا.

استغلت الدول الغربية الاستعمار وسعت لنشر حضارتها وافكارها في بلاد الإسلام مستخدمة عدة طرق في سبيل الوصول لأهدافها التي من ضمنها نشر المسيحية والتبشير بها.

وتتمثل أهداف الدول الاستعمارية فيما يلي:

- إنشاء أسواق جديدة لمنتجاتها.

- استغلال المواد الأولية وثروات البلاد المحتلة.

- الاكتشافات الجغرافية في إفريقيا وآسيا وأستراليا.

- تأمين طرق المواصلات مثل احتلال إنجلترا لمصر.

كان حفل افتتاح قناة السويس عام 1869م من الأمور التي أدت لزيادة الاهتمام بالدراسات الشرقية وذلك للبذخ والحفل الأسطوري الذي أقامه الخديوي إسماعيل بهذه المناسبة وكان يهدف إلى لفت أنظار العالم إلى الحضارة المصرية والاستقلال عن الأستانة ولكن الذي حدث أن هذا الأمر أثال لعاب إنجلترا ودفعها لاحتلال مصر عام 1882م.

معايير الحضارة الإسلامية للغرب:

عبرت الحضارة الإسلامية لأوروبا واستفادة منها أوروبا في نهضتها الحديثة وهذه المعايير متعددة وهي:

أ- الأندلس

ب- جنوب إيطاليا وصقلية

ج- بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية

أ- الأندلس:

بدأ تاريخ الاستشراق مع الرهبان الغربيون الذين قصدوا الأندلس للتعلم وظهرت عندهم محاولات ترجمة للقرآن وقد تعلموا على يد علماء مسلمين وكثيراً منهم كانوا رهبان أمثال بطرس المحترم وجيرار الكريموني، وقد عبرت الحضارة الإسلامية لأوروبا واستفادة منها أوروبا في نهضتها الحديثة وكانت الأندلس أهم تلك المعابر. فتح العرب الأندلس عام 92هـ/711م واستمروا بها

حتى سقوط دولة بني الأحمر في غرناطة عام 897هـ/1492م أي ما يعادل حوالي ثمانية قرون وكانوا سبب في تخضرها و ذلك بما أقاموه فيها من مباني مثل القصور والقلاع والحدائق والمدارس وأوقفوا الأوقاف على دور العلم و الطلاب وما أدخلوه إليها من مزروعات و ثمار كانت جديدة على أوروبا كلها.

أقبل طلاب العلم من أوروبا كلها إلى الأندلس الإسلامية للدراسة والعلم واخذوا من عادات و قيم المسلمين الكثير.

كانت الأندلس المعبر الأكثر أهمية والتي تسربت منه الحضارة الإسلامية والثقافة لأوروبا وقام المترجمون بجامعة قرطبة و طليطلة بنقل الفكر العربي إلى اللاتينية منذ القرن العاشر الميلادي .

وقد أقبل رجال الدين المسيحيين على ترجمة العديد من المخطوطات العربية إلى اللغة اللاتينية وشجعهم ملوك الغرب بجلب تلك المخطوطات وشرائها من مختلف البلاد الإسلامية وكان جماعات الرهبان دوراً خطيراً في هذا مما يدعونا للتعريف بهم.

1- جماعة الإخوة الدومنيكان:

الإخوان الدومنيكان نسبة للقديس دومنيك الأسباني (1170-1222م) ناضل من أجل تفسير العقيدة الصحيحة ودحض الهرطقات وحاول إصلاح حال رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أفسدتهم حياة الترف وجعل التقشف سبيل لهذا وأسس هيئة للوعظ عرفت باسم الإخوان الواعظين أو الدومنيكان (الإخوة المتسولين إشارة للفقير والتسول كوسيلة للعيش) اشتهر الدومنيكان بأنهم حراس العقيدة واهتموا بالتعليم والتبشير ومنهم البرت العظيم وتوما الاكويني.

2- جماعة الإخوة الفرنسيسكان:

أسسها الراهب فرنسيس الإيطالي (1182-1226م) وهو من أسرة ثرية تعمل في تجارة الأقمشة وفضل العبادة والفقير غادر الدير وأسس جماعة من الإخوان وضع قاعدة في عام 1120م وصدق البابا انوسنت الثالث على نظامه وعرفت جماعته بالفقراء أو الرمادين نسبة للون ملابسهم ويضعون حزام أو زنار في وسطهم وعرفوا بالكوردانيين أي الزناريين وقد حضر

القديس فرنسيس لمصر في عهد السلطان الكامل الأيوبي عام 1219م كانت وصيته لإتباعه الاهتمام بالقلم ومن أشهر القساوسة الفرنسيين روجر بيكون كما أسست امرأة ثرية من إيطاليا تدعى كلير هيئة للأخوات الفقراء أو الكيريين نسبة لها واعترفت بها الباباوية 1269م وسميت الأخوات الفقيرات

وأقاموا مدارس لتعليم العربية للربان وأسس الفرنسيين دير في عكا عام 1221م.

3- أهمية الدومنيكان والفرنسيسكان في الاستشراق والتبشير:

عدد كبير منهم قاموا بالسفر لمراكش وتونس ومصر والهند والصين ومواني الشام للتبشير بالمسيحية واستخدموا الطب والتعليم كوسائل للتبشير بين تلك الشعوب وكأنه كفاح عقلي وعملي متواصل بدلاً من العمل اليدوي وعليه وجدنا أديرة تابعة للجماعتين في كل البلاد العربية والشرقية.

كما أقاموا مدارس لتعليم العربية للربان وأسس الفرنسيين دير في عكا عام 1221م واهتم ملك قشتالة الفونسو الخامس أو الحكيم كما كان يعرف بجلب العلماء المسلمين والنصارى إلى بلاطه وإنشاء معهد للدراسات العليا في مرسية.

ويذكر مصطفى السباعي أنه لا يعرف تحديداً من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية لكن من المؤكد أن الرهبان الغربيين في الأندلس قصدوا الأندلس في وقت عزتها ومجدها وثقفوها في مدارسها وترجموا القرآن والعديد من الكتب العربية إلى لغاتهم وتعلموا على يد علماء مسلمين في مختلف العلوم وكانوا هم بداية حركة الإستشراق.

صقلية وجنوب إيطاليا:

فتحت صقلية على يد الأغالبة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ولموقعها جنوب إيطاليا جعل الإيطاليين يقصدوها للعلم فقد كانت مركز للدراسات اللاتينية واليونانية وبعد انتشار الإسلام أصبحت مركز للدراسات العربية وقلعة الإسلام في أوروبا. حتى بعد سقوطها في يد النورمان في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ظلت تحمل لواء الحضارة الإسلامية إلى أوروبا كلها. ويرجع ذلك لانبهار ملوك النورمان بتلك الحضارة وما خلفته في صقلية من عمارة وفنون وأثار ومن أشهر ملوك النورمان الذين شملوا العرب بعناية وحسن معاملة روجر الأول

(1061-1101م) وكذلك روجر الثاني (1130-1154م) الذي ارتدي ملابس شيوخ المسلمين و كتب عبارات عربية على حلة التتويج أما فردريك الثاني فكان يجيد التحدث بالعربية و يحفظ أشعار بالعربية.

اهتمت إيطاليا بالدراسات العربية الإسلامية وكانت جامعة بولونيا أول من اهتم بتلك الدراسات ثم جامعة نابولي ثم روما وتم تأسيس العديد من مراكز اللغات الشرقية وكان الدافع الديني وراء اهتمام إيطاليا بالثقافة العربية منذ القرون الوسطي ثم تحول إلى دوافع أخرى تجارية وسياسية وخاصة في العصر الحديث بعد أن احتلت إيطاليا ليبيا عام 1911م.

بلاد الشام زمن الحروب الصليبية:

لم تكن فترة الحروب الصليبية كلها حروب بل تخللها فترات مهادنة تم خلالها انتقال الحضارة الإسلامية للصليبيين ونقلوها بدورهم إلى أوروبا وكتاب أسامة بن منقذ يحفل بهذه الأمور وذلك في مجال الطب والزراعة وكذلك الصناعة من منسوجات و زجاج وغيره.....

من هنا تبدأ الدراسة فكما كان للحروب الصليبية تأثيراً سلبياً على الولايات الإسلامية فقد كان لها تأثيراً إيجابياً على أوروبا لما نقلته من حضارة إسلامية ومعارف علمية متعددة سواء كانت في الاقتصاد أو العمارة مثل اقتباس الصليبيين لطريقة بناء القلاع الضخمة التي رأوها في الشرق .

البابوية أرسلت حملات للتبشير بين المسلمين مثال القديس فرنسيس مؤسس جماعة الرهبان الفرنسي سكان الذي وصل لمصر عام 1219م وتحدث إلى الملك الكامل الأيوبي و حاول إقناعه بالمسيحية فاستمع له الكامل في احترام ولم يجادله وسمح له بالتجول في المعسكر الإسلامي ودعوة من أراد منهم إلى دينه ولكنه فشل تماماً في جذب أي واحد إلى دينه وقد قدر المسلمين واحترامهم -ومحاولة لويس التاسع نشر المسيحية بين المغول -تأسيس جمعية التبشير الأولى عام 1253م ومنها ظهر المبشر والمستشرق رايموند لول-وقرر مجمع فينا عام 1311م إنشاء 6 معاهد لتدريس اللغات الشرقية في أوروبا وقد أرسلت انجلترا جون بوستير في بعثة تبشيرية إلى سوريا وقام الأخير باستئجار سوري لنسخ المخطوطات وكانت حركة التبشير بين الشعوب غير الأوربية قد اتسعت مع الحركة الصليبية وتعتبر من نتائج الحروب الصليبية.

ولقد ظهرت نظرية تقول أن بداية حركة الإستشراق كان الحروب الصليبية-هذا بالإضافة لمحاولات ترجمة القرآن التي اعتبرها البعض الآخر بداية للاستشراق- وآخرون جعلوا من مجمع فيينا عام 1312م بداية للاستشراق.

جهات بدأ منها الاستشراق:

هناك عدد من الجهات بدء منها الاستشراق وكانت بداية تلك الحركة متمثلة في تلك الجهات

وهي كالآتي :

أ- الباباوية

ب- السفارات

ج- الحملة الفرنسية على مصر (1797-1801م).

اهتمت الباباوية بالاستشراق ودعت ملوك أوروبا لمساعدتها ومساندتها وظهر هذا الاهتمام من إقبالهم على دراسة اللغة العربية بهدف إعداد أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين الحجة والبرهان وتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج المسيحيين للبقاء المقدسة في فلسطين وغيرها وذهب الرهبان الفرنسيون إلى المغرب عام 1220م والدومنيكان إلى مصر وسوريا وإلى بلغاريا ورومانيا عام 1252م، وأسس البابا جماعة الجوالين عام 1250م وانتشرت انتشاراً كبيراً، وتم عمل دليل للحاج اشتمل على أبجدية عربية مع طريقة النطق بها بحروف لاتينية وخريطة لمدينة القدس

رهبان ساهموا في الاستشراق:

- القس سمسون: ولد في قرطبة عام 810م له كتاب بعنوان "الجدل" كان حاد المزاج عنيف في ألفاظه يسيء للإسلام والمسلمين حاول أن يحيل كل الصفات السيئة في مسيحي الأندلس لمخالطتهم المسلمين

- سلفستر الثاني جيرار دي اورلياك (938-1003م): Jerbert de oraliac راهب فرنسي من دير دومنيك أمر بإنشاء مدرستين للعربية في إيطاليا وفرنسا- حصل على تعليمه في أسبانيا وأمر بإنشاء ثلاث مدارس لتعليم العربية في روما وريمس وشارتر وهو أول بابا فرنسي وقيل إنه

أول من صنع ساعة رقاصة وبث الأعداد العربية في أوروبا وترجم كتب في الرياضيات والفلك وله دراسة عن كتاب أفليدس بالعربية .

-**قسطنطين الأفريقي (ت 1078م) Constantinus Africanus**: راهب إفريقي ولد في قرطاج ورحل إلى خراسان ومصر والشام والقيروان والهند، ثم رجع إلى تونس وترهب في سالرنة في دير مونت كاسينو وأخذ يترجم كتب في الطب والفلك من العربية إلى اللاتينية مثل الكتاب الملكي لعللي بن عباس، ولكنه انتحل بعض الكتب لنفسه وأنكر أسماء مؤلفيها الحقيقيين.

- **أدلارد البائي (1070-1135م) Adelard of Bath**: راهب بندكتي تعلم في الاندلس وصقلية ترجم كتب في مجالات مختلفة في الطب والفلك والرياضيات، وعين في إنجلترا معلماً للامير عنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني.

- **ريموند الأول**: رئيس أساقفة طليطلة أنشاء مكتب الترجمة 1130م في طليطلة -إنشاء المطابع التابعة للربان بالحروف العربية.

-**بطرس المحترم (1094-1156م) Pierre le venerable**: راهب فرنسي كان رئيساً لدير كلوني وهو الدير الشهير في تاريخ الحروب الصليبية في العصور الوسطى وكان لهذا الدير فروع عديدة في أوروبا خاصة فرنسا وأسبانيا وبعد سقوط طليطلة في أيدي الأسبان ظهرت بها حركة قوية لحرب الإسلام والمسلمين وكان مركز هذه الحركة دير كلوني يقال انه أول من ترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية واستعان بأثنين من المترجمين وكلف احد القساوسة الإنجليز بهذا العمل وتمت الترجمة عام 1143م وعلى أساس تلك الترجمة المحرفة أصدر بطرس مؤلف بعنوان هرطقات الإسلام .

وأمر بطرس كذلك بترجمة الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ترجمها بطرس الطليطي (كان يهوديا وتنصر)

-**روبرت الشستري (1141-1148م) Robert of chester**: راهب بندكتي ترجم القرآن واستعان بأثنين من العرب وترجم أجزاء من كتاب الخوارزمي الجبر والمقابلة

-**جيرار الكريموني (1114-1187م) Gerard de Gremona**: إيطالي من دير بندكت تعلم العربية في طليطلة ترجم حوالي 87 مصنفاً في الطب والفلسفة والفلك وأهمية تلك الترجمات

إن أصولها العربية فقدت وقد توفي في طليطلة ترجم رسائل الكندي وإحصاء العلوم للفارابي وشرح الفارابي على أرسطو ورسائل متفرقة لجالينيوس وأبقراط وأقليدس .

- ريموند لول (1235-1314م) R. Lulio: ولد في بالمبا في جزيرة ميورقة تعلم العربية وحفظ القرآن ثم ذهب لباريس والتحق بالرهبانية الفرنسيسكانية واقنع ملك أراغون بإنشاء مدرسة لتعليم العربية في ميرامار تخرج منها أكثر من 12 راهباً ومهد بها لإنشاء معهد للدراسات الإسلامية في مدريد وحضر مؤتمر فيينا (1311-1312م) حيث أقر البابا كليمنس الخامس بإنشاء كراسي للعربية والعبرية والكلدانية في جامعات في أوربا وهي باريس وأكسفورد وبولونيا ، قتل لول عام 1314م .

مستشرقون متعصبون ضد الإسلام:

- زويمر S. M. Zweimer: وهو مبشر ومستشرق شديد العداء للإسلام وهو أمريكي الجنسية مؤسس مجلة العالم الإسلامي التبشيرية الأمريكية وقد ترأس تحريرها لمدة ستة وثلاثين عام وهو أحد المؤسسين للإرسالية الأمريكية في منطقة الخليج العربي عام 1889م والتي باشرت نشاطاتها من خلال التعليم والطب وأسست مدارس ومكتبات ومشافي وكنائس في قطر والكويت والإمارات والبصرة بالعراق وأعلن زويمر تحالف المنصرين مع اليهود .. مؤلف كتاب "الإسلام تحدي للعقيدة" صدر في سنة 1908م ، وناشر كتاب "الإسلام" وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة 1911م ولكنهم في الهند...

من كتبه (تفكك الإسلام) وكتاب (دراسات في الإسلام الشعبي)، كما عمل منظم للمؤتمرات التنصيرية منها مؤتمر القدس عام 1935م والذي أعلن فيه زويمر عن الأهداف الخبيثة للتنصير ومنها رد الشباب المسلم عن دينه وإغرائه بالشهوات ونظير جهود زويمر وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين ومعهد يحمل اسمه في كاليفورنيا في أمريكا لتنفيذ أفكاره ونشر موضوع التنصير بين المسلمين.

- بارون كارا دي فو فرنسي: شارك في دائرة المعارف الإسلامية

- ه. أ. ر. جب: إنجليزي كان عضواً في المجمع اللغوي في مصر أستاذ بجامعة هارفارد من محرري دائرة المعارف الإسلامية له كتابات كثيرة فيها عمق، ومن كتبه: طريق الإسلام " ألفه

بالاشتراك مع آخرين وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور، المذهب المحمدي" صدر في عام 1947 م وأعيد طبعه، الإسلام والمجتمع الغربي " صدر في عدة أجزاء، وقد اشترك معها آخرون في تأليفه . وله مقالات أخرى متفرقة

- جولد تسهير Gold Ziher (1850-1921م): مجري يهودي معروف بعدائه للإسلام من محرري دائرة المعارف الإسلامية من كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" ترجم للعربية و"العقيدة والشريعة في الإسلام" كان يشكك في الأحاديث النبوية وهو معروف بعدم الدقة في نقل النص ومحاولة تطويعه لإغراضه .



- جون ماينارد Jon Maunerd: أمريكي ساهم في تحرير مجلة جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية.

- المستشرق الفرنسي إرنست رينان⁽¹⁶⁾ Ernest Renan (1823-1892م): عن دراسة التاريخ بشكل عام عند المسلمين وهو الرأي الذي عبر عنه في محاضرة له في السريون عام 1883م تحت عنوان "الإسلام والعلم" والذي قال فيها "أن ما يميز المسلم هو كراهيته للعلم والاقتناع بأن البحث فيه لا جدوى منه.....وعلم التاريخ لكونه ينطبق على عصور ما قبل الإسلام فيمكنه إعادة إحياء الضلالات القديمة" (17).

- عزيز سوريال عطية: مصري مسيحي له كتب عن الحروب الصليبية ، كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية ودرس بإحدى جامعات أمريكا، كان شديد التحيز ضد الإسلام والمسلمين وكثير التحريف للتعالم الإسلامية. يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية

- فون جرونباوم G. Von Grunbaum: ألماني يهودي هاجر لأمريكا درس بجامعة شيكاغو من ألد أعداء الإسلام. في جميع كتاباته تحبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، له مؤلفات عديدة وله معجبون من المستشرقين. ومن كتبه: "إسلام العصور الوسطى" صدر في عام 1946م و "الأعياد المحمدية" صدر في عام 1951م، وكتاب "محاولات في شرح الإسلام المعاصر" صدر في عام 1947م، "دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية" صدر في عام 1954م، "الإسلام" مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر في عام 1957م، "الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية" صدر في عام 1955م.

- فيليب حتى H. Hith: لبناني مسيحي حصل على الجنسية الأمريكية وعمل مستشار غير رسمي للخارجية الأمريكية في شؤون الشرف الأوسط وعمل أستاذاً بجامعة برنستون كتب في دائرة المعارف الإسلامية يمجّد في كتاباته نصارى لبنان ويقول إنهم تعلموا من جهود المبشرين الأمريكيين من كتبه "تاريخ العرب" و "تاريخ سوريا" و "أصل الدروز وديانتهم". من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا، يحاول دائماً أن ينتقص من دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل، فقد كتب - عيسى ليل المثال - في

"دائرة المعارف الأمريكية" طبع سنة 1948م تحت عنوان "الأدب العربي" ص 129 يقول: "ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر، وكثير من نصارى لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين". ومحاولات "فيليب حتى" انتقاص فضل الإسلاموا المسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها: تاريخ العرب "ظهر بالإنجليزية، وأعيد طبعه عدة مرات، وهو مليء بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه، وكله حقد وسم وكراهية، انظر مثلاً مجلة "الإسلام" الإنجليزية Al-Islam التي تصدر في كراتشي - باكستان ص 138 من عدد أبريل سنة 1958 م، ص 146 من عدد أول مايو سنة 1958م كتاب "تاريخ سوريا".

- لوي ماسينيون L. Massignon (ت 1962م): أكبر مستشرفي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، درس اللغة العربية وزار العالم الإسلامي أكثر من مرة وقام بأبحاث عن الآثار الإسلامية وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق، متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، ومن كتبه: "الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام" صدر في سنة 1922م وله كتباً بأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محجري "دائرة المعارف الإسلامية". وسيرد ذكر تفصيلات أكثر عنه من خلال فصل الاستعمار والاستشراق حيث انه من المستشرقين الذين ساعدوا وعاونوا القوي الاستعمارية بشكل واضح.

- سنوك هورغرونيه (ولد عام 1857م): هولندي والده قسيس مسيحي درس اللاهوت واللغة العربية احتال ليدخل مكة عام 1885م فاعلنا سلامه وسمى نفسه عبد الغفار وبقي هناك 6 أشهر وقال إن الحج من بقايا الوثنية في الجزيرة العربية وكتب رسالة دكتوراه عن "موسم الحج في مكة" وله كتاب عن تاريخ مكة وكتاب محاضرات عن الإسلام، عمل مستشار في أندونيسيا وساهم في وضع خطط الاستعمار الهولندي لإندونيسيا وحاول إقناع المسلمين بالخضوع والخنوع للمستعمر.

- د. س. مرجوليوث: دافيد صموئيل مارغوليوث (مارجليوث) David Samuel Margoliouth (1858-1940م)⁽¹⁸⁾: أحد أكثر المستشرقين الغربيين المعروف عنه تشدده تجاه المسلمين في كثير من كتاباته⁽¹⁹⁾، ومنمحرري "دائرة المعارف الإسلامية" كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه: التطورات المبكرة في الإسلام " صدر في سنة 1913م، " محمد ومطلع الإسلام " صدر في سنة 1905م، الجامعة الإسلامية "، صدر في سنة 1912م.

- أ. ج. أربري A. J. Arberry: إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) والآن أستاذ بجامعة كمبردج. ومنالمؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا. ومن كتبه: الإسلام " صدر في عام 1943م، مقدمة لتاريخ التصوف " صدر في عام 1947م، التصوف " صدر في عام 1950م، ترجمة القرآن " صدر في عام 1950م.

- ألفرد جيوم A. Geom: إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، حاضر في جامعات إنجلترا وأمريكا. وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية. ومنكتبه "الإسلام" ومن المؤسف أنه تخرج على يده كثيراً ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فيبعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

بارون كارا دي فو Baron Garra de Vaux: فرنسي متعصب جداً ضد الإسلام والمسلمين. ساهم بنصيب بارز في تحرير "دائرة المعارف الإسلامية".

- كينيت كراج K. Gragg: أمريكي شديد التعصب ضد الإسلام. قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيس تحرير مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية التبشيرية ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد ومتعهد مبشرين. ومن كتبه "دعوة المئذنة" صدر في عام 1956م.

- د. ب. ماكدونالد D. B. Macdonald: أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يكشف في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية

ومن كتبه: "تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام" صدر في سنة 1903م و"الموقف الديني والحياة في الإسلام" صدر في سنة 1908م.

- **مجيد قدوري:** مسيحي عراقي، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هويكنز في واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه. ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء "الحرب والسلام في الإسلام" صدر في عام 1955م، وله مقالات أخرى.

- **المستشرق الاسباني فرانسيسكو خافيرير سيمونيت:** كاثوليكي شديد التعصب لقومه تحمل كتاباته شحنة مكثفة من الكراهية للإسلام وحضارته له كتاب بعنوان تاريخ المستعربين في أسبانيا.

- **هارفلي هول:** رئيس تحرير مجلة الشرق الأوسط الأمريكية. كان يوجه سياسة مجلة من أهم المجالات المعنية بشؤون الشرق الأوسط السياسية والثقافية في العصر الحديث.

- **هنري لامنس اليسوعي H. Lammens:** فرنسي (1872 - 1937م) من محرري دائرة المعارف الإسلامية، شديد التعصب ضد الإسلام والحقده عليه، مفرط في عداوته وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم ("مجلة جمعية الدراسات الشرقية" الأمريكية). ومن كتبه بالفرنسية "الإسلام". وكتاب بعنوان "الطائف".

- **يوسف شاخنت:** (1902-1969م) **J. Schacht:** ألماني متعصب، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله. من محرري "دائرة المعارف الإسلامية" ودائرة معارف العلوم الاجتماعية. وأشهر كتبه: "أصول الفقه الإسلامي".

من العرض السابق يتضح لنا أصول العديد من المستشرقين المتعصبين ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المدافعين عن الاستشراق الألماني تحديدا قالوا بقله المتعصبين منه وأشاروا إلى عدد كبير من المستشرقين الألمان المحايدون ويبرروا ذلك بأن الاستشراق الألماني يظل بمعزل عن الاستشراق الفرنسي أو البريطاني أو الأمريكي وله نكهة مميزة وكما قال "الشاعر الألماني جوته" (من عرف نفسه ادر كان الشرق والغرب لا يفترقان) وهو من كبار المستشرقين الألمان الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية على حد قول محمد أبو الفضل بدران، وإن الاستشراق الألماني لم

يخضع لغايات سياسية أو احتلالية أو دينية ولم تتصف دراساته بروح عدائية رغم أخطاء مستشرقين ألمان مثل ثيودور نولدكه (1836-1930م) في أقواله عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وهو عميد المستشرقين الألمان وهناك معارضين لهذا الرأي يقولوا بأن الاستشراق الألماني اعتمد على الفرنسيين أمثال سلفستر دي ساسي (1758-1838م) كما أن للألمان جمعيات تنصيرية .

ب-السفارات:

بدأت السفارات الدبلوماسية بين الدول عن طريق سفارة يرسلها الملك محملة برسالة إلى حاكم الدولة الاخرى وقد تبقي تلك السفارة في الدولة حتى تتلقي الرد من الحاكم المرسلة إليه قد بدأت السفارات بين الشرق والغرب منذ عهد هارون الرشيد وشارلمان إذ تم تبادل السفارات والهدايا بينهم في عام 807م ذهبت سفارة من هارون لشارلمان تحمل هدايا منها ساعة رملية وبعض الحيوانات غير المألوفة في أوروبا مثل الجمل والفيل وغيرهماومنح هارون الرشيد حماية المسيحيين الموجودين في القدس لشارلمان بصورة شرفية قد وردت أقوال عديدة في حادثة منح هارون الرشيد حماية للمسيحيين الموجودين في القدس لشارلمان ملك الكارلونجيين وعن مدي صحة هذه العبارة فهناك من يؤيدها وآخر يعارضها .

ومن السفارات الهامة في العصور الوسطى سفارات عبد الرحمن الداخل في الأندلس إلى ملوك النورمان والدنمرك وسفارات عبد الرحمن الناصر إلى القسطنطينية في عام 950م والي الإمبراطور الألماني ورد الأخير عليه بسفارة على رأسها السفير الألماني الأسقف جرتز الذي بقي ثلاث سنوات في قرطبة لتعلم العربية وعاد لبلاده بعدها محمل بالعديد من المخطوطات العربية الهامة.

تطورت السفارات بعد ذلك في العصر الحديث، وأرسلت الدول الغربية سفراء مقيمين لها في البلاد الشرقية وكذلك العكس وتعتبر تقارير السفراء حلقة من حلقات الاستشراق.

ومع التطور التاريخي في مجال العلاقات الخارجية أصبح السفراء وملحقوهم الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية يبعثوا إلى الشرق وأقاموا فيه، وعاونوا في جمع المخطوطات وتعلم اللغات الشرقية وإنشاء المطابع لنشر مصنفاته وكانوا نواة طيبة للاستشراق.

الحملة الفرنسية على مصر (1797-1801م):

هي حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب وكذلك معبر حضاري أدت للكشف عن حضارة هامة من حضارات الشرق وهي الحضارة الفرعونية والتي أوضحتها الحملة وكشفت عنها الستار للغرب الأوروبي في مطلع العصر الحديث وذلك بسبب مانتج عنها من إنتاج استشراقي تمثل في أن الحملة صاحبها عدد كبير من العلماء والرسامين وصل عدد علماء الحملة إلى 150 عالم وأكثر من 2000 فنان ورسام بالإضافة إلى الأطباء والفلكيين الذين قاموا بتسجيل كل أمور الحياة في مصر بكافة تفاصيلها وعن العلاقة بين الحملة الفرنسية والاستشراق نجم لها في عدة أمور هي :

1. سحب الحملة بعثة علمية
2. إنشاء المجمع العلمي المصري عام 1798م وترئسه عالم الرياضيات مونتج
3. طبع أعمال المجمع كل ثلاثة شهور
4. اصطحب نابليون معه مطبعة عربية أخذها من الفاتيكان
5. عثور شامبليون على حجر رشيد وفك رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)
6. الحملة أدت لزيادة الرغبة في الاستشراق
7. كتاب " وصف مصر" الذي كان بمثابة موسوعة ضمت 24 مجلد مشروح بالصور والرسومات واللوحات التي تمثل النشاط المصري بالإضافة إلى الكنوز التاريخية والفنية والدينية , والحياة النباتية والحيوانية والمعدنية .
8. وهناك كتاب آخر من نتائج الحملة الفرنسية هو كتاب للمستشرق الرحالة فيفيان دينون "رحلة إلى مصر العليا والسفلى أثناء حملة نابليون" وصدر قبل إصدار موسوعة وصف مصر بسنوات وضم صور للحياة والبيئة المصرية, والطقوس الدينية, كما سجل وصفاً دقيقاً للمعابد الفرعونية المصرية القديمة في الوجه القبلي والبحري, وصور للشخصيات من مختلف القوميات أتراك ومماليك وعرب وأقباط.
- ولدينا مستشرقة أخرى ممن اهتموا بمجال الآثار في مصر وهي إميلي إدواردز. عاشت السيدة الإنجليزية إميلي إدواردز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر, وفي عام 1873 تركت

انجلترا للقيام بأجازة طويلة سيرا على الإقدام في فرنسا. و لكن من سوء حظها فإن الإمطار هطلت بصورة مستمرة منذ وصولها مما جعل استمرارها في إجازتها كما خططت لها مستحيلاً.

تخلت السيدة إدواردز عن خططها و رحلت إلى مصر حيث أمضت شهور الشتاء تستكشف الأراضي المصرية التي كانت معرفة الغربيين بها لا تزال محدودة حتى ذلك الوقت. ولدى عودتها إلى إنجلترا كتبت كتاباً عنوانه "آلف ميل عبر النيل (A thousand miles up the Nile)" الذي عرض قصة الفترة التي قضتها في مصر و تم نشره عام 1877، و قد حظى الكتاب بشعبية واسعة ونجاحاً ملحوظاً، مقدماً إلى الغربيين وصفاً حياً للناس والأماكن والآثار المصرية. لقد اندهشت السيدة إدواردز بما شاهدته أثناء تجوالها في مصر من الإهمال والتخريب الذي أصاب الآثار المصرية القديمة والمواقع الأثرية. ولذا جمعت السيدة إدواردز مجموعة من الرجال حولها لتؤسس معهم جمعية باسم "صندوق استكشاف مصر" لتطوير الاستكشاف العلمي لمصر وآثارها. هذه الجمعية ما زالت قائمة حتى اليوم باسم "جمعية استكشاف مصر" وهي الجهة الرئيسية التي توجه الاعتمادات البريطانية إلى الأبحاث والحفائر الأثرية التي تجري في مصر. ماتت السيدة إدواردز عام 1892 عن عمر يناهز الـ 61 عاماً حيث تركت في وصيتها لـ (UCL) مجموعتها الكبيرة من الآثار المصرية بالإضافة إلى كتب مكتبتها و الصور و المستندات الأخرى التي تخص مصر القديمة. وطبقاً لكلماتها فإن مجموعة الآثار خصصت لأجل "توسيع مجال معرفتنا بتاريخ وآثار وآداب ولغة وفنون مصر القديمة.

الوسائل التي اتبعتها الغرب لتدعيم حركة الاستشراق:

استخدم الغرب وسائل عديدة لدعم وتقوية حركة الاستشراق وقد تنوعت تلك الوسائل وستعرض لها بالتفصيل من خلال هذا الموضوع: وهي كالآتي :

1- إنشاء كراسي للغات الشرقية في الجامعات الأوربية

مثل جامعات تولوز وجامعة السوربون -المدرسة الشرقية في القسطنطينية -بجانب كراسي اللغات الشرقية في جامعات الغرب، فقد عنيت جامعة بولونيا 1076م بعلوم العرب وثقافتهم وآدابهم وإنشاء البابا جريجوريوس الثالث عشر المدرسة المارونية في روما 1584م ثم تأسست بها مطبعة عام 1653م، كذلك المعهد الإيطالي للشرق الأوسط و الاقصى 1934م والذي يعني

بالشرق العربي ولاسيما الإسلامي ويرسل بعثات أثرية إلى لبنان وليبيا و أفغانستان والقدس ويعلم اللغات الفارسية والاندونيسية و الاوردية ويصدر مجلة تسمى الشرق والغرب East and West

2-إنشاء المكتبات الشرقية:

هي مكتبات أنشأها المستشرقون في أوربا أو تسببوا في إنشائها إن صح التعبير واستطاعوا الحصول على نفائس المخطوطات العربية وأول مكتبة في أوربا اهتمت بجمع كتب التراث كانت مكتبة الفاتيكان- ولا ننسى أن البابوية من المؤسسات الأولى التي اهتمت بالاستشراق- وجمع لها الباباوات مخطوطات ابتاعوها من العثمانيين بعضها بيزنطي وبعضها عربي وأخذوا في نسخها وترجمتها.

ثم ظهرت مكتبات مثل مكتبة المتحف البريطاني في لندن وتحوي 15 ألف مخطوط عربي, ومكتبة باريس الوطنية وبها ما يقارب 7 آلاف مخطوط عربي, ومكتبة الاسكوريال في أسبانيا التي تحوي 1900 مخطوط عربي من بقايا المكتبة الأندلسية الإسلامية في غرناطة, ومكتبة برلين الوطنية في ألمانيا ومكتبة جامعة ميونخ وهايدلبرج وهناك نوع آخر من المكتبات الشرقية هي المكتبات الخاصة التي يملكها المستشرقون وقد أوقف بعضهم مكتبته على المكتبات العامة .

3-إنشاء المطابع الشرقية

اخترع جوتنبرج الطباعة عام 1450م ونشرت مطبعة البندقية ترجمات للمصنفات العربية ليحيى بن ماسويه في الطب والفلك فلما أدخلت الحروف العربية في الطباعة نشرت أول طبعة من القرآن بالعربية عام 1530م والمطابع الشرقية مطابع تطبع بحروف اللغات الشرقية ومنها العربية والعبرية وبدأت في إيطاليا ثم فرنسا وأسبانيا مثال مطبعة مايس تري في مدريد.

4-الجمعيات الاستشرافية والمجلات الشرقية:

تنمية حركة الإستشراق بإصدار مجلات ومطبوعات خاصة بالشرق ومثال ذلك- صحيفة العلماء التي تصدر في فرنسا -ونشرة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في القاهرة والجمعيات الاستشرافية، مثل:

*** الجمعية الآسيوية الفرنسية:** تأسست في باريس عام 1822م ولها كتاب مئوي صدر عام 1922م من أهدافها:

- تأليف ونشر كتب وقواميس للغات الشرقية.
- الحصول على مخطوطات شرقية وترجمتها.
- تمكن مؤلفي الكتب في التاريخ والجغرافيا من الحصول على مساعدات تمكن الجمهور من الاستماع لهم.

- جمع تبرعات دورية تخصص لدراسات الأدب الآسيوي والآثار والشعر الشرقي.
- جمع معلومات عن الشرق لها أهمية في أوروبا وجعلها مجالاً للتخصص العلمي .
الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا تأسست عام 1823م في لندن وصدر لها كتاب سنوي عام 1923م وأهدافها جمع المعلومات عن الشرق من أمثلة مستشرقها "ادوارد لين" في كتابه و"صف سلوك المصريين المحدثين" - وإتحاد المستشرقين البريطانيين.

*** الجمعية الشرقية الأمريكية:** تأسست عام 1842م وأول اجتماع لها عام 1843م أعلن رئيسها أن أمريكا تبدأ دراسة الشرق لتحذوا حذو الدول الأوروبية الاستعمارية، أهدافها دراسة اللغات الشرقية - نشر نصوص - تأسيس مكتبة لنفائس الشرق - معهد الشرق الأوسط في واشنطن 1946م معهد استراتيجي وأمني الجمعيات الجغرافية - الجمعية الجغرافية في باريس 1871م هدفها انتصار الحضارة الغربية على الهمجية الشرقية - نشر الرحلات الاستكشافية والمغامرات الاستعمارية في إفريقيا والنيل الأزرق فهي جغرافية استعمارية.

5- المتاحف الشرقية:

تحتوي مكتبات بها مؤلفات شرقية من أهمها المتحف البريطاني ومتحف فيكتوريا وألبرت والمتحف الوطني في باريس وكذلك اهتم الغرب بمجال الآثار الشرقية بإرسال بعثات تنقيب أثرية إلى البلاد الشرقية.

6- المؤتمرات الدولية:

بلغ عدد المؤتمرات التي عقدها المستشرقون في الفترة من 1873م إلى 1964م عدد 26 مؤتمراً وتم نشر مجلدات تضم أعمال المؤتمرات و الأبحاث التي قدمت فيها وعقد المؤتمر العشرون

في موسكو عام والثاني والعشرون في اسطنبول عام 1951م و عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م .

المراحل التي مر بها الاستشراق:

مر الاستشراق بمراحل ثلاث نجملها هنا موضحين ما اتسمت به كل مرحلة وتحديدًا الزمني.

المرحلة الأولى:

تبدأ من القرن الثامن حتى عصر النهضة الأوروبية الحديثة في القرن الخامس عشر الميلادي وفيها احتك الإسلام بالغرب سياسيا وحربيا وأسس مراكز لحضارته في جنوب أوروبا.

المرحلة الثانية:

منذ أوائل النهضة الأوروبية حتى الآن وظهر فيها اثر الفكر الإسلامي على الفلاسفة الغربيين أمثال ديكارت وغيره و ظهور ترجمات لروائع الأدب الشرقي مثل ألف ليلة وليلة.

المرحلة الثالثة:

وهي التي نشهدها الآن وتتمثل في العناية بالدراسات الإسلامية والعناية بالإسلام واتجاهاته ولم تعد دراسة الشرق هي محور اهتمام المستشرقين وإنما دراسة الأمم الإسلامية.

أهداف المستشرقين:

اختلفت أهواء وأهداف المستشرقين وذلك على مدار مراحل الاستشراق المختلفة وهو ما نتعرض له من خلال هذا الموضوع،بالإضافة لشرح أهداف حركة الاستشراق ذاتها، وقد قسم المستشرقين لمجموعات حسب اختلاف أهدافهم :

-المجموعة الأولى كانت تهدف لخدمة الكنيسة عن طريق التبشير وأغلب هؤلاء من الرهبان الخاضعين لسلطة الكنيسة الغربية الكاثوليكية.

-المجموعة الثانية مرتزقة وضعوا أقلامهم في خدمة مصالح بلادهم الاستعمارية.

-المجموعة الثالثة من المستشرقين كانوا من هواة الأساطير والغرائب ولم يكونوا طلاب

علم وقد انتهوا في المراحل الأولى للاستشراق.

-المجموعة الرابعة تعرضت لدراسة الإسلام دون أن تقصد الطعن ودون أهداف مقدمة وإنما بهدف الدراسة كما تدرس كتبها المقدسة.

-مجموعة خامسة أنصفت الإسلام وبعضهم اعتنق الإسلام.

-مجموعة سادسة أرادت البحث العلمي دون التعرض للدين وغلبت عليها الحيدة والرغبة في الوصول للحقيقة العلمية.

أهداف الاستشراق

1- الهدف الديني:

يعتبر الهدف الديني من أهم وأول أهداف الاستشراق فمن جهة حاول الاستشراق صد الشعوب الاخرى عن الدخول في الإسلام بالإيحاء بأن تعاليم الإسلام إنما هي سبب في انحطاط الحضارة وتحلف المسلمين وستكون سبب في انحطاط تلك الشعوب المتوقع إسلامها، والقول بأن الإسلام دين ميت لم يعد يمثل له سوي فئة من الأصوليين والصوفيين وهذا ما حاول الاستشراق تصويره زوراً وبهتاناً عن الإسلام. وعمد الاستشراق إلى الروايات المغلوطة والأقاويل المكذوبة ليؤكد أقواله.

ويعتبر الهدف الصليبي جزء من الهدف الديني وكذلك توحيد حملات التنصير وتشويه المعلومات عن الإسلام واستمرار الحملات الصليبية عن طريق توجيه الفكر.

2-الهدف الاستعماري:

جند الاستعمار طائفة من المستشرقين لخدمة أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد الإسلام ومن هنا وجدت رابطة قوية بين الاستعمار والاستشراق، كما أتاح الاستعمار للاستشراق الدخول للعالم الإسلامي متمثلاً في مدارسه ومكتباته وجامعاته.

3-الهدف السياسي:

الاستشراق في جوهره مذهب سياسيتُطبق على الشرق لأن الشرق كان اضعف من الغرب وهدف المستشرقون لإبقاء الشرق تحت سطوة الرجل الغربي.

وقد وجد من المستشرقين من كانوا صناعاً لسياسة بلادهم تجاه الشرق بل أن المستشرقين دخلوا في صراع الدول الأوربية حول مناطق نفوذها ورغباتها الاستعمارية لدول الشرق وربما كان

من الصعب فصل الهدف الاستعماري عن الهدف السياسي ولكن يمكن اعتبار الهدف الثاني متقدماً وممهداً للأول بل ومخطط له

4-الهدف الاقتصادي:

استغلال موارد البلاد الشرقية بإخضاعها سياسياً أو استعمارياً.

5- الهدف العلمي:

- هدف مشبوه لإنكار القرآن وتشويه الإسلام ومحاربة المسلمين بالتشكيك في قيمة الفقه الإسلامي وفي قدرة اللغة العربية على مسايرة تحديات العصر
- هدف نزيه حب الاستطلاع والانبهار بالمد والحضارة الإسلامية, وأصحاب هذا الهدف العلمي النزيه متجردين من الهوى والأغراض .

